

لورانس في شبه الجزيرة العربية: الحرب والخداع والحمافة الإمبريالية وصناعة الشرق الأوسط الحديث

رواية تاريخية عن التجسس تكشف كواليس الانتداب البريطاني لفلسطين

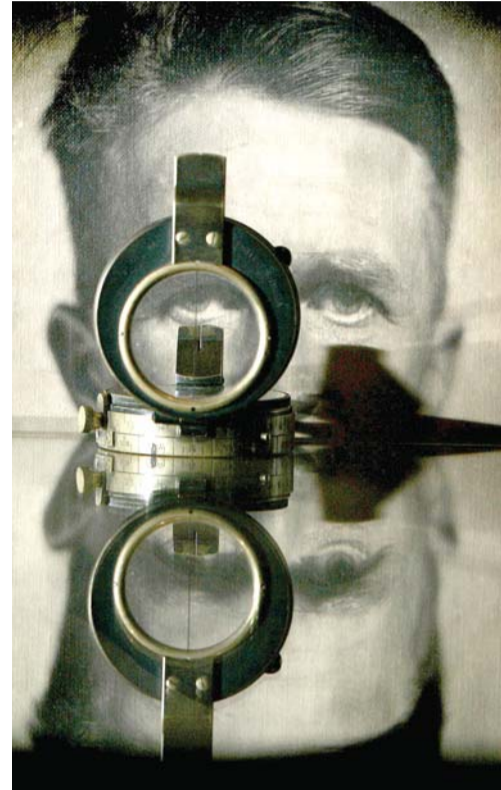


حقائق تاريخية صنعت عالمنا الجيوسياسي اليوم

بعيدا عن قصة الشخص الواحد، كان "لورانس في شبه الجزيرة العربية" عملا متقن الصنع يقدم تفاصيل وشخصيات مفعمة بالحياة في هذه السنوات المهمة للغاية لتطور عالمنا الجيوسياسي الحديث. وباعتبارها "رواية" تاريخية عن التجسس، ستكون إضافة رائعة لفصول التاريخ المتعلقة بأي من الأبعاد التي جرت مناقشتها أعلاه وأكثر.

مارك سايكس لعب دورا قويا في هذا العرش من المتلاعبين، كانت لديه غطرسة عابرة، كان ذابا أيضا أرسنقراطية وكاذبا أيضا

ويمكن أن تتشكل بمفردها مرجعا وبالتالي تخلق مستوى من المؤامرات والاهتمام مما يؤدي إلى رغبة القارئ وحاجته إلى إجراء المزيد من الاستفسارات في هذا التاريخ. بدلا من ذلك، إنه منظور ممتان وضروري للتاريخ الكئيبة عادة التي تغطي هذه الفترة الزمنية. وهذا ما يجعل التاريخ مثيرا للاهتمام، حيث ينزل به إلى المستوى الإنساني للشخصيات بكل قدراتها وكل عيوبها وجمع التداينات التي ما زالت سارية حتى اليوم.



لورانس العرب شخصية تاريخية مثيرة للجدل

بعد الحرب، سرعان ما دمّرت المصالح البريطانية والفرنسية في المنطقة احلامه وخطه لإقامة دولة عربية. أما بالنسبة إلى الممثلين البريطانيين، فلم يفكر لورانس بهم من منظور إيجابي. ويُنظر إلى الجيش على أنه "جدران منيعة" من البلاهة العسكرية". فكما بقيت الأمور على حالها وبالنسبة إلى السياسيين فيُنظر إليهم على أنهم يخدمون أنفسهم، دون خيال، وهم في الأساس مجموعة من الناس الأغبياء إلى حد ما.

ذات مرة في فلسطين

كما هو الحال مع معظم روايات الغموض/التجسس الجيدة، يجتمع طاقم الشخصيات في نهاية القصة لحل مختلف سيناريوهات الخداع. وقدمت كل هذه الشخصيات نفسها في فرساي، حيث أنشئت "الحرب لإنهاء جميع الحروب" أساسا الإعداد للحرب العالمية الثانية ووضعها الحالي في الشرق الأوسط. وفي حين تدور أحداث قصة "لورانس في شبه الجزيرة العربية" إلا أنها تقدم بشكل مثير للدهشة مراجعة للتاريخ الفلسطيني في تلك الحقبة وكيف اجتمعت العوامل المختلفة لقيام الانتداب البريطاني في فلسطين وتقديمه ترخيصا غامضا لتوطيد المهاجرين اليهود في فلسطين. وكان مارك سايكس دور مهم في ذلك، بينما أقر بان "العرب المسيحيين

أيضا". بينما كان يتمتع بـ"فكر خصب"، كان يتناقض مع المواقف أو السياسات التي كان ينادي بها في وقت سابق... غالبا قبل أيام قليلة". فكيف ستكون الحرب دون "عمل خاص" لوزارة الخارجية الأميركية؟ عمل ويليام بيل، من العائلة التي أسست جامعة بيل، في وظيفتين أخريين هما دور المحقق العسكري لقوة المشاة المصرية (البريطانية)، عمله العادي كموظف منتظم إلى حد ما في ستاندر أويل. هناك بالطبع العديد من الشخصيات الأخرى، لكن المجموعة المذكورة أعلاه تلخص مجمل الحكاية. كان "الأخرون" الأكثر أهمية (كما تعتبرهم الروايات الغربية في الغالب) هي الأطراف العربية التي تفاعل معها لورانس وزملاؤه بطرق مختلفة، ويحاولون التلاعب بهم دائما لمصلحتهم الخاصة.

كان على فيصل بن الحسين أمير الحجاز أن يتعامل مع كل العلاقات المزدوجة لأشخاص مثل سايكس. وفي نفس الوقت، كان عليه العمل مع العديد من القبائل والقرى العربية المنفصلة، وكان ابن سعود خصمه الرئيسي. ولعب ابنه عبد الله بن الحسين دورا مهما في المنطقة التي عمل فيها لورانس.

البريطانيون حتى وقت متأخر جدا من الحرب. كما كان للفرنسيين جاسوسهم المحلي وهو العقيد إدوارد بريموند الذي تولى مسؤولية السياسة الفرنسية في المنطقة. وبينما كان "يوقف بين أجدتين متناقضتين إلى حد كبير"، توصل إلى مارك سايكس، وهو سياسي بريطاني ومستشار دبلوماسي لشؤون الشرق الأوسط، على أن "لديه موقفا وسياسية منحرفين بشكل متعمد".

شغل أحمد جمال باشا منصب حاكم سوريا التي كانت تضم معظم الدول الحديثة في الشرق الأوسط في ذلك الحين. وكان أسلوبه الإداري متذبذبا حيث "كان يتأرجح بين الشدة المستعرة والشهامة اللطيفة، غالبا في نفس المحادثة، مما كان يبق كل من حوله في حالة اختلال دائم من التوازن". وكان ألمانيا ممثلها في الإمبراطورية العثمانية، كيرت بروف، السكرتير الشرقي الألماني، ووصفته رئيسا للمخابرات الألمانية للمنطقة. كان جاسوسهم الرئيسي أيضا، ووصف بأنه "ساحر بارع" و"مغرم سيء السمعة". ولعب مارك سايكس دورا قويا في هذا العرش من المتلاعبين. كانت لديه "غطرسة عابرة"، "كان ذابا أرسنقراطية... وكاذبا

يكشف كتاب لورانس في شبه الجزيرة العربية لصاحبه سكوت أندرسون تفاصيل رحلة الضابط البريطاني المعروف بـ"لورانس العرب" إلى الشرق الأوسط خلال فترة الحرب العالمية الثانية في رواية تحمل طابع التجسس كما تشكل دراسة تاريخية ذات أهمية، حيث ينقل الكاتب إلى القارئ كواليس تلك الفترة بتسليط الضوء على عيش من المتلاعبين وهي الشخصيات السياسية التي ساهمت في قيام الانتداب البريطاني في فلسطين، والتي أشعلت فتيل نزاع مازالت المنطقة ترزح تحت وطأته.

واشنطن - نادرا ما يفوق كتاب التوقعات كثيرا، و"لورانس في شبه الجزيرة العربية" هو أحد تلك الكتب التي قدمت رواية تاريخية متقنة الصنع عن خفايا الحرب وصناعة الشرق الأوسط الحديث حسب الكاتب جيم مايلز. ويقدم مايلز تقييمه وقراءته لكتاب "لورانس في شبه الجزيرة العربية"، تلك الرحلة التاريخية المثيرة للفضول، وبرأيه فإن كتابات سكوت أندرسون مسلية وغنية بالمعلومات في نفس الوقت وتقدم حقائق تاريخية لافتة.

ويقول في بداية تقديمه للكتاب "أنت تقرأها بطريقة تعطي الانطباع بأنها رواية تجسس وليست دراسة تاريخية. إنها أكثر من مجرد قصة توماس إدوارد لورانس، على الرغم من أنه الشخصية التي يدور حولها جميع الآخرين في هذا المنظور. إنها قصة تتضمن مجموعة من الشخصيات غير الكفوة، والكاذبة، والمخادعة، والمتلاعبة في أفضل حالاتها الإمبراطورية".

الشخصيات

يعرف الأشخاص الذين قرأوا تاريخ الحرب العالمية الأولى وتدابيرها الشخصية على نطاق واسع. وبلغت مايلز إلى أن سكوت أندرسون بذل جهدا رائعا في البحث عن الشخصيات الرئيسية التي سافرت عبر الشرق الأوسط والتي واجهت بعضها أحيانا، وكانت دائما في حالة تنقل، وتبحث عن مصلحتها.

وبالترتيب الأبجدي، يأتي آرون أرونسون أولا. ويوصف بأنه مهندس زراعي مثقال ومتعجرف ونكسي أقام العديد من المشاريع البحثية في فلسطين في الغالب لزيادة الاهتمام بدولة يهودية في المنطقة. وعمل في كلا الجانبين، حيث خدم في البداية الإمبراطورية العثمانية (التي كان مواطنا فيها) ثم أنشأ شبكة تجسس أثبتت فعاليتها، وتجاهلها

عودة النزعة الانفصالية تنكأ جراح الحرب الأهلية في نيجيريا

لتحقيق التوازن بين الثلاثة الكبار فيما بينهم ومع بقية سكان الدولة المصطنعة التي أوجدها. وكان حلمهم هو النظام الاقتصادي، الذي شكلت مثله نيجيريا المستقلة. ولكن هذا النظام لم ينفذ قط ولا تزال الدولة مركزية للغاية ولكنها ضعيفة. ونتيجة لذلك، فإن النزعة الانفصالية دائما ما تكون تحت السطح مباشرة.



دون كاميل
النزعة الانفصالية
أربكت نظام الحكم في
نيجيريا منذ الاستعمار

وقد تسبب انعدام الأمن والتصورات عن التمييز من قبل الحكومة الاتحادية في فقاعة مرة أخرى. إن تكتيكات الجهاز الأمني القاسية تدفع المشاعر الانفصالية، وكذلك الدين بالنسبة إلى الإيجبو المسيحيين بأغلبية ساحقة، الذين يعتقد بعضهم أن حكومة بوهاري تتعاون مع الجهاديين وقطاع الطرق المسلمين أو على الأقل تتسامح معهم. وهذه هي الدوافع أقل بروزا لشعب يوروبا.

وحدات الشرطة الوطنية. ويقول المدعي العام الاتحادي إن "أموتيكون" غير قانونية. ومع ذلك، وعلى عكس شبكة الأمن الشرقية، لم تتورط "أموتيكون" في أعمال عنف ضد أجهزة الأمن. وتقع رابع أكبر مجموعة عرقية، وهي جماعة إيجاو، في معظمها في دلتا النيجر. وهناك استياء طويل الأمد بين الإيجبو من أن معظم الثروة النفطية تذهب إلى أماكن أخرى، في حين الحق إنتاج النفط اضراارا بالغة بمنطقة دلتا النيجر ودمر سبل العيش التقليدية القائمة على صيد الأسماك والزراعة. وتشن حركة تحرير دلتا النيجر، وهي منظمة للجماعات المسلحة في تلك المنطقة، هجمات على البنية التحتية النفطية، ولكنها أكثر إجرامية من كونها انفصالية.

ويقول الباحثان إن النزعة الانفصالية أربكت نظام الحكم النيجيري منذ الحقبة الاستعمارية. وتشكل قبائل الهوسا وفولاني ويوروبا والإيجبو - المعروفون أحيانا باسم الثلاثة الكبار - أكثر من نصف سكان نيجيريا، في حين أن الباقيين منقسمون بين أكثر من 300 مجموعة عرقية. وكافح البريطانيون

تحقيق دولة بيافرا ذات السيادة" الأكثر سلما، وقد ظهرت مجموعات أخرى في أماكن أخرى. ودعا البعض من شعب يوروبا البارزين إلى إنشاء دولة منشقة تعرف باسم جمهورية "أودودوا"، على الرغم من أن الدعم لها أقل حماسا وانتشارا من دعم البيافرا بين الإيجبو.

وفي أوائل عام 2020، شكلت حكومات ست ولايات لشعب اليوروبا في الجنوب الغربي مجموعة أمنية إقليمية تسمى "عملية أموتيكون"، وهي في الواقع، ظاهرة، مكلمة للشرطة الوطنية، وتعمل كقوة شرطة تدار محليا مع وحدات تبدو أفضل تمويلا بكثير من

الأهلية، تسعى الحكومة الاتحادية للقضاء على شبكة الأمن الشرقية. وبالنسبة إلى بوهاري وغيره من كبار المسؤولين الأمنيين، فإن عودة بيافرا هي لعنة وتدميرها يبرر أي وسيلة. من ناحية أخرى، اتهمت الحكومة الاتحادية إيجبوهو بتخزين الأسلحة بشكل غير قانوني، وهرب عندما داهم عملاء اتحاديون منزله. وكان قد قبض عليه في منتصف يوليو في بنين، حيث وجهت إليه تهمة الدخول غير القانوني. وقد فشلت أي جهود تبذلها الحكومة لتسليم إيجبوهو بتهم تتعلق بالأسلحة لأسباب قانونية، على الرغم من عدم تقديم أي طلب رسمي حتى الآن. ومنظمة "السكان الأصليين في بيافرا" هي في حد ذاتها فرع من "الحركة من أجل

من رعاة الفولاني المسلمين الذين تزعم المنظمة، دون أدلة كثيرة، أنهم مدعومون من حكومة الرئيس محمود بوهاري في محاولة لاسلمة البلاد. أما إيجبوهو فهو شخص ثري ويرتبط ارتباطا جيدا مع مجموعات مؤسسة اليوروبا، أكبر المجموعات العرقية في نيجيريا ويمثلون 16 في المئة من سكانها. وهو ليس زعيم حركة انفصالية منظمة مثل كانوا، ولكنه أيضا يعارض رعاة الفولاني الذين يتحركون جنوبا.

وتم القبض في يونيو على كانوا في بلد لم يذكر اسمه، وتردد على نطاق واسع أنه كينيا، وتمكنت الحكومة من تأمين تسليمه خارج نطاق القانون إلى نيجيريا، حيث وجهت إليه تهمة الخيانة العظمى. ومن المحتمل أن يكون الاعتقال الأخير على صلة بزيادة العنف المرتبط بالانفصاليين في جنوب شرق البلاد. وتردد أن شبكة الأمن الشرقية ساهمت في زيادة بنسبة 34 في المئة في عمليات القتل في الجنوب الشرقي، بتنفيذ أكثر من عشرين هجوما ضد أفراد قوات الأمن بين يناير وأبريل. وبعد معارك ضارية، وتكريات الحرب

واشنطن - لا شك أن عودة النزعة الانفصالية في نيجيريا نتيجة لعدم قدرة الحكومة الاتحادية على توفير الأمن في مواجهة التهديدات المتعددة، تشير تكرات الحرب الأهلية الممتدة في البلاد. ويقول الباحثان دون كاميل ونولان كوين في تقرير نشره مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي أنه في حين أن هناك العديد من المدافعين عن الانفصالية فإن أبرزهم نامدي كانو وصندي إيجبوهو، فهما يشتركان في بعض الأهداف وفي العداء للحكومة الاتحادية، لكن قواعدهما العرقية مختلفة.

وكان هو مؤسس منظمة "السكان الأصليين في بيافرا" الانفصالية التي تهدف إلى إنشاء دولة مستقلة ببيافرا في جنوب شرق نيجيريا. وتعتمد المنظمة، التي حظرتها الحكومة الاتحادية في عام 2017، على تكرات بيافرا المستقلة التي هزمت في الحرب الأهلية النيجيرية 1967 - 1970، والتي أسفرت عن مقتل ما يصل إلى مليوني شخص. ومعظم مؤيدي بيافرا هم من عرقية "الإيجبو". وفي أواخر عام 2020، شكلت المنظمة جناحا مسلحا، هو "شبكة الأمن الشرقية"، ظاهريا لحماية الإيجبو الذين يغلب عليهم المسيحيون

